

محاضرة بعنوان:

تنوع دلالة الألفاظ المستخدمة للتعبير عن السكن والغربة بالعهد القديم:

The diversity of semantics used to express housing and
estrangement in the old testament

المادة: التاريخ القديم
المرحلة: الأولى

إعداد:

م. د. مجيد جاسم محمد أحمد الشبيبي

أستاذ تاريخ الأكيان - رئاسة جامعة الأنبار

كلية التربية للبنات

تنوع استخدام العهد القديم للألفاظ الدالة على السكن والغربة بين اتجاهين أساسيين: عبّر الأول عن السكن؛ وعبّر الثاني عن الغربة. ف جاء الأول من الفعل "ישב"، بمعنى: "جلس، اتكأ بكامل جسمه، عاش"، والفعل "יָטָה"، بمعنى: خيم، عسكر، مال وتوجه إلى"، والفعل "הלך"، بمعنى: "ذهب، عبّر، انتقل بقدميه من مكان لآخر". كما وتنوعت استخداماته وتصريفاته الفعلية، كما ورد في سفر التكوين (١: ٢٠): "וַיֵּסַע מִשָּׁם אַבְרָהָם אֶרְצָה הַנָּגִבְ، וַיֵּשֶׁב בֵּין-קְדִישׁ וּבֵין שׁוֹר؛ וַיָּגֶר، בְּבֶרֶר"، «وَأُنْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ، وَتَعَرَّبَ فِي جَرَّارَ».

وكذا الفعل "יָטָה"، حيث يذكر سفر التكوين (٨: ١٢): "וַיַּעֲמֶק מִשָּׁם הַהָרָה، מִקְדָּם לְבֵית-אֵל-וַיֵּט אֶהְלֵה; בֵּית-אֵל מִיָּם، וְהָעַי מִקְדָּם، וַיִּבֶן-שָׁם מִזְבֵּחַ לַיהוָה וַיִּקְרָא בְּשֵׁם יְהוָה، «ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلِ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتٌ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَائِي مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ».

وأيضاً الفعل "הלך"، فقد ورد في التكوين (١: ١٢): "וַיֵּאמֶר יְהוָה אֶל-אַבְרָם، לֵךְ-לְךָ מֵאַרְצְךָ וּמִמְּלֹכְתְךָ וּמִבֵּית אָבִיךָ، אֶל-הָאֲרָץ، אֲנֹכָה אֲרָצְךָ"، «وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: «اذهب من أرضك وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ».

وأتى الثاني معبراً عن الغربة مستخدماً الفعل الأجوف "גור"، والذي يعني: "سكن أو انتقل للعيش في مكان آخر"؛ إذ أتت هذه اللفظة لتعني في بعض المواضع "الغربة والتغرب"، لاسيما

مع إبراهيم (عليه السلام)، حيث كانت تُذكر كلما ذُكر تنقل إبراهيم في أرض كنعان، وفي مصر. وقد وردت نصوص كثيرة في العهد القديم تبين ذلك، منها على سبيل المثال ما ورد في سفر التكوين (١٠: ١٢): "وَبِهِي رَعِب، בְּאֶרֶץ؛ וַיֵּרַד אַבְרָם מִצְרַיִם לְגֹרַשׁ שָׂם، כִּי-כָבַד הָרַעֲב בְּאֶרֶץ"، «وَحَدَّتْ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ، فَأَنْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لِأَنَّ الْجُوعَ فِي الْأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا». وما ورد أيضاً في السفر نفسه (٨: ١٧): "וַיָּבִיئֵנִי לָהּ וְלִזְרַעָהּ אַחֲרֶיהָ אֵת אֶרֶץ מִצְרַיִם، אֵת כָּל-אֶרֶץ כְּנַעַן، לְאַחֲזַתָּהּ، עוֹלָם؛ וְהָיִיתִי לָהֶם، לְאֱלֹהִים"، «وَأُعْطِيَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلَهُهُمْ». وكذا في (١: ٢٠): "וַיִּסַּע מִשָּׁם אַבְרָהָם אֶרְצָה הַנְּגִבִים، וַיָּשָׁב בֵּין-קַדְשׁ וּבֵין שׁוּר؛ וַיָּגֵר، בְּנֶגֶר"، «وَأَنْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ فِي جְزَارَ». وورد أيضاً في التكوين (٣٤: ٢١): "וַיִּגַּר אַבְרָהָם בְּאֶרֶץ פְּלִשְׁתִּים، יָמִים רַבִּים"، «وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْتِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً». وفي التكوين (٤: ٢٣) نذكر حديث إبراهيم مع بني حث، الذين سكنوا أرض كنعان قبل مجيء العبرانيين عليها: "גַּר-וְתוֹשָׁב אֲנֹכִי، עִמָּכֶם؛ תָּנוּ לִי אַחֲזוֹת-קָבָר עִמָּכֶם، וְאַקְבְּרָה מִתִּי מִלְּפָנַי"، «أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ. أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرِ مَعَكُمْ لِأَدْفِنَ مَيِّتِي مِنْ أَمَامِي».

وتكرر ذلك أيضاً مع إسحاق و يعقوب. ففيما يتعلق بإسحاق، نذكر مثلاً ما ورد في سفر التكوين (٣: ٢٦): "גֹּרַר בְּאֶרֶץ הַזֵּאת، וְאַהֲרָה עִמָּהּ וַאֲבָרְכָהּ: כִּי-לָהּ וְלִזְרַעָהּ، אֶתֵּן אֶת-כָּל-הָאֲרָצוֹת הָאֵלֶּה، וְהִקְמִיתִי אֶת-הַשְּׂבָעָה، אֲשֶׁר נִשְׁבַּעְתִּי לְאַבְרָהָם אָבִיךָ"، «تَغَرَّبَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ فَأَكُونُ مَعَكَ وَأُبَارِكُكَ، لِأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِيَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ».

أما فيما يتعلق بـيعقوب، نذكر ما ورد في التكوين (١: ٣٧): "וַיָּשָׁב יַעֲקֹב، בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם אָבִיו-בְּאֶרֶץ، כְּנַעַן"، «وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ»؛ وما ورد أيضاً في السفر نفسه (٩: ٤٧): "וַיֵּאמֶר יַעֲקֹב، אֶל-פְּרַעֲפָה، יְמֵי נְשׂוֹי מִצְרַיִם، נְשָׁלָשִׁים וּמֵאָת נְשָׁה: מִזֵּמַט וְרַעִים، הָיוּ יְמֵי נְשׂוֹי חַיִּי، וְלֹא הִשְׁיִגּוּ אֶת-יְמֵי נְשׂוֹי חַיִּי אֶחָדִי، בְּיְמֵי מִצְרַיִם"، «فَقَالَ يَعْقُوبُ لِفِرْعَوْنَ: «أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةٌ وَرَدِيَّةٌ كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي، وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ».

لقد رأى رولان دوفو (*Roland Devaux*) أثناء مقارنته بين كلمة "גר" العبرية، وكلمة "جار" العربية، أن هناك تشابهاً بينها. فقد كان الـ "جار" عند البدو العرب القدامى، هو اللاجئ الذي يلجأ لقبيلة طلباً للحماية؛ وكذلك كان الـ "גר" عند بني إسرائيل، غريب يقيم بصورة دائمة وسط جماعة تقبله، ويتمتع فيها ببعض الحقوق، وكان اللفظ يُطلق على أفراد أو جماعات على

السواء . فكان إبراهيم غريباً "גַּר" في حبرون (تك ٢٣: ٤)، وكان لوط في سدوم (تك ١٩: ٩)، وكان موسى في مديان (خر ٢: ٢٢؛ ١٨: ٣)، وكان بنو إسرائيل (גַּרְעָם) غرباء) في مصر (خر ٢٢: ٢٠؛ ٢٣: ٩، و (تك ١٠: ١٩؛ ٢٣: ٨)؛ بل إن موسى قد سمى ابنه "جرشوم גַּרְשֹׁם"، لأنه ولد عندما كان موسى نزيلاً في أرض غربته (٢: ٢٢). إلا أنه ومن المستغرب، أن بني إسرائيل عندما استقروا في كنعان، اعتبروا أنفسهم أصحاب الأرض الشرعيين أو (شعب الأرض אֲדָמָה קְנַעֲנִית)، علماً بأن مفهوم "شعب الأرض"، كان يُشار به إلى شعوب أخرى من غير العبرانيين؛ فطبقاً لرواية سفر التكوين (٢٣: ١٢-١٣)، كان المقصود بشعب الأرض "الحيثيون" من أهل "حبرون"، ولم يُقصد بهم العبرانيون ممثلين بإبراهيم (عليه السلام)، الذي كان مجرد غريب يقيم في تلك الأرض (أرض كنعان)؛ ووفقاً لرواية السفر نفسه (تك ٢: ٤) يُقصد بشعب الأرض "المصريون"، ولم يُقصد به بنو يعقوب؛ وفي رواية سفر العدد (٩: ١٤) يُقصد به "الكنعانيون" سادة الأرض، ولم يُقصد به بنو إسرائيل. وأصبح من لم يتم استيعابهم من السكان الأصليين، سواء بالمصاهرة أو بالتدني إلى مرتبة العبودية، "جيريم גֵּרִים"، وإلى هؤلاء أُضيف المهاجرون؛ علماً بأن نصوص العهد القديم تعتبر من يعيش خارج قبيلته، من بني إسرائيل، "גַּר" (غريب). فهناك رجل من "أفرايم" كان غريباً في "جبعة" التي يسكنها سبط بنيامين (قض ١٩: ١٦)، وكان اللاويون بصفة عامة ضمن هذه الفئة، إذ لم تكن لهم أرض ينتمون إليها (قض ١٧: ٧-٩؛ ١٩: ١)، كما أن التشريعات الخاصة بحماية المجتمع، كانت تضع "اللاويين والغرباء" גַּרְעָם في فئة واحدة (تك ١٢: ١٤؛ ٢٩: ١٤؛ ٢٦: ١٢).

وهكذا نلاحظ أن العهد القديم استخدم في نسخه العبرية الفعل "גַּר" ليعبر عن الغربة، علماً بأن هذا الفعل يعني في الأساس "سكنَ أو انتقل للعيش من مكان لآخر"، في حين استخدم الأفعال: "גָּרַע، גָּרַעוּ، גָּרַעוּ" ليعبر عن السكن والاستقرار في منطقة معينة لفترة طويلة.



